التعليم والتثقيف كسبيل لتبليغ الدين في إفريقيا:

استراتيجية للتنمية الروحية والاجتماعية

ذ. إلياس إدريس أحمد
باحث من جمهورية جيبوتي

الحمد لله ذي الآلاء والأفضال والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد:

فإن تبليغ دين الله تعالى ونشر رسالة الإسلام الخالدة من أعظم الواجبات التي حملها المسلمون، وهي مهمة تتجدد بتجدد الزمان والمكان، وتتطلب أساليب حكيمة تتناسب مع طبيعة المجتمعات وتحدياتها. وفي ظل ما تشهده القارة الإفريقية من تنوع ثقافي واجتماعي وديني، تبرز الحاجة إلى استراتيجيات فعَّالة لتبليغ الدين الإسلامي، تعتمد على أسس علمية ومنهجية، وتستهدف بناء الإنسان روحيّاً واجتماعيّاً.

ويأتي هذا البحث تحت عنوان "التعليم والتثقيف كسبيل لتبليغ الدين في إفريقيا: استراتيجية للتنمية الروحية والاجتماعية"، ليؤكد على أن التعليم والتثقيف هما من أنجع الوسائل لنشر الإسلام في إفريقيا، ليس فقط كعقيدة، بل كمنهج حياة شامل يُصلح الفرد والمجتمع، ويُسهم في تحقيق التنمية الشاملة. فالتعليم ليس مجرد نقل للمعلومات، بل هو بناء للعقول، وغرس للقيم، وتنمية للوعي، مما يجعله أداة قوية في يد الدعاة لتحقيق مقاصد الدين العليا.

خطة البحث:

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، وينقسم إلى مقدمة وأربعة محاور:

• **المحور الأول:** يتناول مفهوم تبليغ الدين ومقاصده وثماره، حيث يتم التأكيد على أن التبليغ ليس مجرد نقل للمعارف الدينية، بل هو عملية بناء للإنسان وتغيير إيجابي للمجتمع.

• **المحور الثاني:** يسلط الضوء على أهمية التعليم والتثقيف كاستراتيجية لتبليغ الدين في إفريقيا، مع التركيز على الخصائص الفريدة للقارة التي تجعل من التعليم وسيلة مثلى لنشر الإسلام.

• **المحور الثالث:** يستعرض سبل التعليم والتثقيف لتبليغ الدين في إفريقيا مع الاستفادة من التجارب التعليمية الناجحة التي تم تطبيقها في القارة.

• **المحور الرابع:** يناقش التحديات التي تواجه عملية التبليغ عبر التعليم في إفريقيا، ويقدم حلولاً عملية لتجاوزها، مع التأكيد على أهمية التكيف مع الواقع الإفريقي واحترام تنوعه الثقافي.

إن هذا البحث يسعى إلى تقديم رؤية دعوية متكاملة، تعتمد على العلم والحكمة، وتستلهم تجارب الدعوة الناجحة في إفريقيا، لتكون دليلاً عملياً للدعاة والعاملين في مجال التعليم، سائلين الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، ويُسهم في بناء مجتمعات إفريقية قائمة على الإيمان والقيم الإسلامية الراسخة.

المحور الأول: مفهوم تبليغ الدين ومقاصده وثمراته

تبليغ الدين الإسلامي هو مهمة عظيمة حملها الأنبياء والمرسلون، وورثها العلماء والدعاة من بعدهم. وهو ليس مجرد نقل للمعارف الدينية، بل هو عملية شاملة تهدف إلى إيصال رسالة الإسلام إلى الناس كافة، وتعليمهم أحكامه وقيمه، ودعوتهم

إلى تطبيقه في حياتهم اليومية. يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: 107]. وهذا يدل على أن التبليغ هو وسيلة لإصلاح البشرية وإخراجها من الظلمات إلى النور.

أولاً: مفهوم تبليغ الدين:

" التبليغ لغةً: بمعنى الإيصال، والاسم منه البلوغ، إذ يُقال: بلغ الصبي أي وصل إلى سنّ الرشد. والبلوغ، والإبلاغ، والتبليغ بمعنى: الانتهاء، والوصول، والإيصال، والتوصيل إلى غاية مقصودة أو حدٍّ مراد، سواء كان هذا الحدُّ أو تلك الغاية مكاناً أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدّرة معنويّاً[1]. وغالباً ما يُستعمل معنى التبليغ في الأمور المعنويّة ويقلّ في الأمور المحسوسة، نحو قولنا: أبلَغت أو بلّغت زيداً رسالة، أو فلاناً إنذاراً.

قال تبارك وتعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾[الأعراف:62]، بمعنى أنّني مكلّف بأنْ أوصل لكم رسالات الله وهي تعاليمه وإرشاداته[2].

وتبليغ الدين اصطلاحاً: يعني إيصال رسالة الله تعالى إلى الناس كافة، بغض النظر عن أعراقهم أو ألوانهم أو لغاتهم. وهو واجب شرعي على الأمة الإسلامية، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: 104]. ويشمل التبليغ نقل العقيدة الصحيحة، وتعليم العبادات، وتوضيح الأخلاق الإسلامية، وبيان الأحكام الشرعية[3].

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على أهمية التبليغ في حديثه: « **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»[4]، وهذا يدل على أن التبليغ ليس مقصوراً على العلماء فحسب، بل هو مسؤولية كل مسلم حسب استطاعته.

1- مركز نون للتأليف والترجمة، التبليغ الديني: مفهومه وأساليبه ومضمونه، 2011م، ص:17.

2- المصدر نفسه، ص17.

3- المصدر نفسه، 18.

4- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

ثانياً: مقاصد تبليغ الدين:

تسعى مهمة تبليغ الدين إلى تحقيق جملة من الأهداف والغايات، نجملها في النقاط التالية[1]:

• تحقيق العبودية لله تعالى؛ لأن الهدف الرئيسي من التبليغ هو دعوة الناس إلى توحيد الله وعبادته دون شرك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

• إصلاح الفرد والمجتمع، إذ إن التبليغ يهدف إلى بناء مجتمع قائم على العدل والأخلاق، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2].

• نشر الرحمة والعدل: الإسلام دين الرحمة، والتبليغ وسيلة لنشر هذه الرحمة بين الناس، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

• تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة: التبليغ يهدف إلى هداية الناس إلى طريق الخير، مما يؤدي إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: 97].

ثالثاً: ثمرات تبليغ الدين:

وأما الثمرات المترتبة من تبليغ الدين فهي:[3]

• نشر الهداية: التبليغ يؤدي إلى هداية الناس إلى طريق الحق، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].

1- مطاريد، رمضان محمد، وآخرون، أصول الدعوة ومناهجها-دراسة تأصيلية تحليلية-غير مشار إلى مكان الطبع، 2019م

2- الأصبحي، مالك بن أنس، الموطأ، باب ما جاء في حسن الخلق.

3- عبد الملك القاسم، من ثمار الدعوة إلى الله، دار القاسم، الرياض، طبعة بدون تاريخ.

• تعزيز الأخلاق والقيم: التبليغ يسهم في غرس القيم الأخلاقية في المجتمع، مما يؤدي إلى تقوية الروابط الاجتماعية، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1].

• تحقيق الأمن المجتمعي: عندما يلتزم الناس بتعاليم الدين، يتحقق الأمن والاستقرار في المجتمع، لأن الإسلام هو السلم والسلام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[البقرة: 208].

• نيل الأجر والثواب: المبلغون عن الله تعالى ينتظرهم أجر عظيم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[2].

المحور الثاني: أهمية التعليم كأداة استراتيجية لتبليغ الدين في إفريقيا

تعتبر القارة الإفريقية من أكثر المناطق التي تحتاج إلى جهود دعوية مكثفة، نظراً لتعدد الثقافات والأديان فيها، بالإضافة إلى انتشار الفقر والأمية في بعض مناطقها. وفي هذا السياق، يبرز التعليم كأحد أهم الاستراتيجيات الفعَّالة لتبليغ الدين الإسلامي، حيث إنه لا يقتصر على نقل المعرفة فحسب، بل يسهم في بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة، وترسيخ القيم الأخلاقية، وتعزيز الهوية الإسلامية. وتكمن أهمية هذا الموضوع في السياق الإفريقي الذي له خصوصياته الاجتماعية والثقافية، في الآتي:

أولاً: التعليم وسيلة لبناء الفهم الصحيح للإسلام

في إفريقيا، تنتشر بعض المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، والتعليم يساعد على تصحيح هذه المفاهيم من خلال تقديم الإسلام كما جاء في القرآن والسنة النبوية. كما يسهم التعليم في غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الأفارقة، مما يجنبهم

1- سبقت الإشارة إليه.

2- النووي، يحيي بن شرف الدين، رياض الصالحين، باب في الدلالة على خير والدعاء إلى هدى أو ضلالة.

الانحرافات العقدية والسلوكية.

ثانياً: التعليم أداة لتحقيق التنمية الشاملة:

التعليم يسهم في تعزيز الإيمان والعبادة، مما يؤدي إلى تنمية روحية تعزز ارتباط الفرد بربه، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ **[فاطر: 28].**

ومن خلال التعليم، يتم تعزيز القيم الإسلامية مثل العدل والإحسان والتعاون، مما يسهم في بناء مجتمعات متماسكة، ينطبق عليها قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد»[1].

ومن الناحية الاقتصادية، يؤدي التعليم إلى تمكين الأفراد من اكتساب المهارات اللازمة لتحسين أوضاعهم الاقتصادية، مما يعزز استقلاليتهم ويقلل من اعتمادهم على المساعدات الخارجية، كما هو شأن العديد من المجتمعات الإفريقية التي شل الاستعمار الفكري قدراتها الإنتاجية وسلب إمكانياتها الذاتية.

ثالثاً: التعليم وسيلة لمقاومة التحديات:

في إفريقيا هناك العديد من التحديات التي تعيق تبليغ الدين الإسلامي، وتحد من انتشار تعاليمه السمحة، ومن أبرزها جهود المنصرين الذين ينتشرون بشكل كبير في العديد من مناطق إفريقيا، خاصة في المناطق الفقيرة. وهنا يعمل التعليم الإسلامي على تحصين الأفراد ضد هذه الجهود من خلال تعزيز هويتهم الإسلامية بالعلم والمعرفة.[2]

وإلى جانب ظاهرة التنصير، تواجه إفريقيا تحديات أخرى تتمثل في انتشار التطرف الديني وبروز الجماعات المتشددة، إذ تشكل هذه الجماعات، بسلوكياتها المنحرفة

1- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، باب ما جاء في تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

2- محمد سرحان، التعليم الإسلامي في إفريقيا حائط صد أمام التنصير، الثلاثاء 29 محرم 1440هـ، شبكة منتدى العلماء.

وأفكارها المتطرفة، تحدياً خطيراً لانتشار التعاليم الإسلامية الصحيحة، حيث تقع فئة الشباب المسلم ضحية لأفكارها المشوهة التي تُقدّم تحت مظلة الإسلام.

وفي هذا السياق، يلعب التعليم الصحيح دوراً محورياً في تحصين الشباب ضد هذه الأفكار المتطرفة، التي غالباً ما تنشأ بسبب سوء الفهم للنصوص الشرعية. فمن خلال تقديم فهم متوازن وشامل للإسلام، يمكن تعزيز وعي الشباب وتمكينهم من مقاومة هذه الأفكار المنحرفة، مما يسهم في بناء مجتمعات أكثر استقراراً وسلاماً.[1]

رابعاً: التعليم وسيلة لتعزيز التواصل الحضاري:

تعتبر القارة الإفريقية نموذجاً فريداً للتنوع الثقافي والديني، حيث تتعايش شعوبها مع اختلافاتها العرقية واللغوية والدينية. في هذا السياق، يلعب التعليم دوراً محورياً في تعزيز التواصل الحضاري، ليس فقط كجسر للتفاهم بين الثقافات، بل أيضاً كوسيلة فعَّالة لتبليغ الدين الإسلامي بشكل سلمي ومتوازن. فالتعليم لا يقتصر على نقل المعرفة فحسب، بل يؤدي إلى بناء جسور الثقة والاحترام المتبادل بين المجتمعات المختلفة، مما يعزز قبول الإسلام كدين عالمي يدعو إلى السلام والتعايش.

أمثلة من التاريخ لكون التعليم وسيلة لنشر الإسلام في إفريقيا.

على مدار التاريخ، لعب التعليم دوراً محورياً في نشر الإسلام في إفريقيا، حيث كان وسيلة فعَّالة لتبليغ رسالة الإسلام وتعزيز قيمه بين الشعوب الإفريقية. ومن خلال المدارس القرآنية والمراكز التعليمية والجامعات الإسلامية، انتشر الإسلام بشكل سلمي وترسخت جذوره في القارة. وفي العصر الحديث، لا تزال هذه المؤسسات التعليمية تلعب دوراً مهماً في نشر الإسلام ومواجهة التحديات المعاصرة.

فعلى سبيل المثال، كانت جامعة تمبكت في مالي مركزًا للعلم الإسلامي، حيث اجتذبت طلابًا من مختلف أنحاء القارة وخارجها. وفقًا لما ورد في كتاب "الإسلام في

1- مجموعة من المؤلفين، منع التطرف العنيف من خلال التعليم - دليل لصانعي السياسات، يونيسكو ، 2018م متوفر موقع المنظمة.

إفريقيا عبر التاريخ" لحسن إبراهيم حسن، فقد لعبت هذه الجامعة دورًا محوريًا في نشر الإسلام من خلال تقديم تعليم ديني متكامل ومكتبة غنية بالمخطوطات الإسلامية. هذا التراث يُظهر أن التعليم كان دائمًا وسيلة رئيسية لتبليغ الدين.

وفي إفريقيا الشرقية لعبت مدينة هرر بمساجدها وزواياها، دوراً كبيراً في جهود نشر الإسلام بالعلم الشرعي، وتخريج العلماء والدعاة، الذين أثروا على الحياة العلمية لسكان هذه المنطقة، وعززوا الهوية الإسلامية فيها.[1]

المحور الثالث: سبل التعليم والتثقيف لتبليغ الدين في إفريقيا.

وإذا كان التعليم والتثقيف كما بيَّنا سابقاً أحد أهم الوسائل لتبليغ الدين الإسلامي بشكل فعَّال ومستدام، فهناك العديد من السبل، لنشر التعليم، وتثقيف المجتمعات الإفريقية، ونحن هنا في هذا البحث، سنركز على أربعة منها وهي:

- إنشاء المدارس والمعاهد الإسلامية؛
- ترجمة القرآن والكتب الإسلامية إلى اللغات الإفريقية؛
- استخدام التكنولوجيا ووسائل الاتصال العصرية؛
- تدريب الكفاءات الدعوية الإفريقية.

أولاً: إنشاء المدارس والمعاهد.

تعدُّ المدارس والمعاهد الدينية ركيزة أساسية لنشر الإسلام وتعاليمه في القارة الإفريقية، حيث تلعب دورًا حيويًا في تعزيز الوعي الديني، وتقوية الهوية الإسلامية، وتأهيل الدعاة والمعلمين لنقل رسالة الإسلام.

ومع انتشار الأمية والتحديات التنموية في بعض الدول الإفريقية، يصبح دور هذه

1- حسن، بيان صالح، الثقافة الإسلامية في الحبشة والتحديات الموجهة إليها في القرن الرابع عشر الهجري، مجلة قراءات إفريقية، 10 أكتوبر 2010م.

المؤسسات أكثر أهمية في توفير بيئة تعليمية مناسبة تجمع بين العلوم الشرعية والحديثة، مما يسهم في تحقيق التنمية الروحية والاجتماعية.

أهمية المعاهد والمدارس الإسلامية في إفريقيا.

وتكمن أهمية هذه المدارس في سياق تبليغ الدين بإفريقيا في ما يأتي:

• تعمل على نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، وتعريف الناس بمبادئ الإسلام الصحيحة القائمة على الوسطية والاعتدال، بعيدًا عن الغلو والتطرف. كما أنها تساعد في محاربة الجهل والتأويلات الخاطئة التي قد تؤدي إلى انحراف العقيدة.

• تسهم في تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية للناشئين، بالإضافة إلى تدريس السنة النبوية، مما يساعد في تربية جيل مرتبط بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

• تساعد على تخريج الدعاة والمعلمين المؤهلين القادرين على توصيل الرسالة الإسلامية بطرق علمية مدروسة، وذلك من خلال تقديم مناهج متخصصة في الفقه، التفسير، الحديث، وأصول الفقه.

• تعزز الهوية الإسلامية في المجتمعات الإفريقية، وتحافظ عليها، وتساعد المجتمعات المسلمة في التمسك بثقافتها الدينية.

تجارب معاصرة لمؤسسات تعليمية ناجحة في تبليغ الدين بإفريقيا.

يوجد في إفريقيا عدد من التجارب التعليمية الناجحة، التي أسهمت في تبليغ الدين في القارة الإفريقية، يأتي على رأسها تجربة علماء جامع القرويين بفاس. ومن التجارب المعاصرة التي قامت برعايتها جهات إسلامية خيرة، نجد على سبيل المثال لا الحصر:

• جامعة إفريقيا العالمية في السودان:

تُعتبر جامعة إفريقيا العالمية واحدة من أبرز المؤسسات التعليمية الإسلامية في إفريقيا، حيث تجمع بين التعليم الأكاديمي والدعوة الإسلامية، تأسست في سبعينيات القرن الماضي باسم المركز الإسلامي الإفريقي، ثم تطورت إلى جامعة، وعملت على تخريج آلاف الطلاب من مختلف دول إفريقيا، الذين أصبحوا دعاة ومعلمين في مجتمعاتهم[1].

• المركز الإسلامي المصري في دار السلام (تنزانيا)

" تم افتتاحه في أوائل السبعينات، وكان المركز يقدم الخدمات الصحية المتميزة بجانب تدريس اللغة العربية، والعلوم الإسلامية بواسطة فريق من الأطباء المصريين أكثر من ثلاثة عقود متتالية. وقد تخرج من هذا الصرح الإسلامي العظيم منذ إنشائه حتى الآن أكثر من 3000 خريج تخصصوا في العلوم الشرعية، واللغة العربية، وهم الآن الذين يشرفون على الكثير من المعاهد التي تعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ويقومون مع آخرين بأعباء ترجمة الكتب الإسلامية المعاصرة من اللغة العربية إلى اللغة السواحلية. كما أن لهم إسهامات كبيرة في تأسيس وإنشاء مدارس عربية إسلامية في شتى أنحاء محافظات تنزانيا"[2].

• المعهد الإسلامي التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود في جيبوتي.

تأسس المعهد في جيبوتي عام 1401هـ (1981م) ليشمل المرحلتين المتوسطة والثانوية، ثم توسع بإضافة قسم الإعداد اللغوي في العام الدراسي 1412/1413هـ لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. كما تم افتتاح قسم الدبلوم التربوي لإعداد المعلمين.[3]

1- آدم، عبد الله عبد القادر، جامعة إفريقيا العالمية خمسون عاماً من العطاء، مركز مقديشو للدراسات والبحوث، 8 يناير 2016م.

2- مجمع الملك سلمان للغة العربية، تجارب تعليم اللغة العربية في دول القارة الإفريقية عرض وتقديم، المحرر: الشتري، صالح بن عبد الله، الرياض، 1445هـ.

3- المصدر نفسه.

ويهدف المعهد إلى نشر تعليم اللغة العربية وتعاليم الدين الإسلامي الصحيح، وتعزيز الثقافة الإسلامية الواعية. كما يسعى إلى تأهيل خريجيه من حملة الشهادة الثانوية العامة للالتحاق بالكليات الأكاديمية والتربوية المختلفة، مما يتيح لهم فرص العمل في الوظائف المدنية، أو ممارسة مهنة التدريس والدعوة وفق منهج علمي رصين، بالإضافة إلى إمكانية الالتحاق بالخدمة العسكرية أو غيرها من المجالات.[1]

وتبرز أهميته كمركز لنشر الدين في تخريجه آلاف الدعاة والقضاة والمأذونين، الذين حملوا لواء الثقافة الإسلامية في جيبوتي، وأسهموا في التعليم والدعوة والتوجيه الفكري والتطبيق العملي للقيم الإسلامية.

هذه المؤسسات الثلاثة، أخذناها كنموذج، وأما في الواقع، فهناك العديد من المؤسسات التعليمية الإسلامية التي اضطلعت بدور بارز في تخريج الدعاة والأئمة، وحملت على أكتافها مهمة تبليغ هذا الدين، متخذة من التعليم أداة استراتيجية للتنمية الروحية والاجتماعية، التي تؤدي إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي في قارة إفريقيا.

وفي هذا السياق، لا ننسى أن ننوه بالمنظمات والجهات الإسلامية الخيرة، التي ساهمت في تبليغ الدين في إفريقيا عن طريق التعليم، ومنها:

- جمعية العون المباشر (لجنة مسلمي إفريقيا).

- رابطة العالم الإسلامي.

- مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة.

- الأزهر الشريف.

- الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

1- شبكة المستودع الرقمي (المعاهد والجامعات الإسلامية).

كما لعبت منظمة التعاون الإسلامي، ومنظمة الإيسيسكو، والبنك الإسلامي للتنمية دورًا بارزًا في دعم التعليم الإسلامي في الدول الإفريقية، من خلال تمويل مشاريع تطوير البنية التحتية التعليمية، مثل بناء المدارس والمكتبات، والاهتمام بتدريب المعلمين، وتعزيز جودة التعليم.

ثانياً: ترجمة القرآن الكريم والكتب الإسلامية إلى اللغات الإفريقية.

تُعدُّ الترجمة من أهم الأدوات التي ساهمت في نشر الإسلام في القارة الإفريقية، حيث مكّنت غير الناطقين باللغة العربية من فهم القرآن الكريم وتعاليم الدين الإسلامي. فمع اتساع الرقعة الجغرافية لإفريقيا وتنوع اللغات والثقافات، أصبحت ترجمة النصوص الدينية ضرورة لنقل رسالة الإسلام إلى مختلف الشعوب بطريقة واضحة ومفهومة، وتنبع أهميتها كأداة لتبليغ الدين في أنها: [1]

• تؤدي إلى تسهيل فهم القرآن الكريم وتعاليم الإسلام، مما يمكن المسلمين الأفارقة من فهم دينهم بشكل صحيح.

• تساعد على تعريف الكثير من الأفارقة بالإسلام، مما يسهل اعتناق العديد منهم لهذا الدين بعد فهمه بلغاتهم الخاصة.

• تسهم في نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة بين المسلمين الجدد، ومنع سوء الفهم أو التحريف الذي قد ينشأ نتيجة الاعتماد على مصادر غير موثوقة.

• تؤدي إلى تعزيز الهوية الإسلامية من خلال ربط المجتمعات الإفريقية بهويتها الإسلامية، خاصة في المناطق التي تعرضت لتأثيرات ثقافية أو استعمارية غيّرت من مفاهيمها الدينية.

1- المعايرجي، حسن، ترجمات معاني القرآن باللغات الإفريقية مصادر تفهيم القرآن الكريم للأفريقيين، مجلة المسلم المعاصر، ع50 مج 13. دار المنظومة.

• تدعم الدعاة والمعلمين في توضيح المفاهيم الدينية للناس بلغاتهم المحلية، مما يجعل عملية الدعوة أكثر تأثيرًا وفعالية.

• تحسن من كفاءة التعليم الشرعي، حيث تعتمد المدارس على الكتب الدينية المترجمة، مما يعزز التعليم الديني ويسهم في رفع مستوى الوعي الإسلامي بين الشباب.

• تعين الأفارقة على مواجهة التحديات الفكرية والدينية، مثل الحملات التبشيرية أو التيارات الفكرية التي تسعى إلى تشويه الإسلام أو نشر أفكار مغلوطة عنه.

ترجمات إسلامية ساهمت في تبليغ الدين باللغات الإفريقية.

إذا كانت الترجمة - كما سبق- وسيلة فعالة في تبسيط التعاليم الإسلامية، لاسيما في تفسير القرآن الكريم وكتب الفقه والحديث، للمجتمعات الإفريقية غير الناطقة بالعربية فقد أثبتت العديد من التجارب نجاحها في تبليغ الدين من خلال الترجمة، وفي مقدمتها ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة السواحلية.

وتُعد السواحلية من أكثر اللغات انتشارًا في شرق إفريقيا، حيث يتحدث بها سكان كينيا، وتنزانيا، وبوروندي، ومدغشقر، وجزر القمر، إلى جانب لغات أخرى. وقد ساهمت هذه الترجمة في تمكين سكان هذه الدول من فهم معاني وتعاليم القرآن الكريم بلغتهم.[1]

كما شملت جهود الترجمة اللغة الهوساوية، التي تُعد الأكثر انتشارًا في غرب إفريقيا، حيث يتحدث بها نحو 50 مليون شخص كلغة أولى، ونحو 30 مليون نسمة كلغة ثانية. وتُعرف الهوساوية بأنها "لغة المسلمين في غرب إفريقيا" نظرًا لكون غالبية متحدثيها من المسلمين. وقد أسهم مشروع ترجمة القرآن الكريم بهذه اللغة في نشر رسالة الإسلام في المنطقة.[2]

1- صمب، شيخ – كبرى اللغات الإفريقية وأثرها في نشر التعليم الإسلامي - قراءات إفريقية ، 3 أبريل 2022م.

2- المصدر نفسه.

ومن الجهود البارزة أيضًا، الترجمة الحديثة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الأمهرية، التي تُعد الأكثر تداولًا في إثيوبيا، الدولة ذات الكثافة السكانية العالية ضمن القارة الإفريقية، مما أتاح لشريحة واسعة من السكان الوصول إلى تعاليم الإسلام بلغتهم الأم.

ثالثاً: استخدام التكنولوجيا ووسائل الاتصال العصرية.

في عصرنا الحديث، أصبحت التكنولوجيا وسيلة فعالة لنقل المعرفة والتعليم إلى جميع أنحاء العالم، بما في ذلك القارة الإفريقية، حيث يمكن أن تساهم بشكل كبير في نشر التعليم الإسلامي. فبفضل الإنترنت والتطبيقات الذكية والوسائط الرقمية، يمكن إيصال تعاليم الإسلام إلى ملايين الأشخاص بطريقة سهلة وفعالة، متجاوزة العقبات الجغرافية والاقتصادية التي تعيق الوصول إلى التعليم التقليدي.

وتلعب التكنولوجيا الحديثة دورًا أساسيًا في توسيع نطاق الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الأفراد. وفي هذا السياق، يمكن تطوير منصات تعليمية إلكترونية توفر دروسًا بالصوت والصورة باللغات المحلية، بالإضافة إلى تصميم تطبيقات تفاعلية تُسهّل تعلم الأذكار والقرآن الكريم بطريقة جذابة تلائم احتياجات الشباب.

أهمية التكنولوجيا في نشر التعليم الإسلامي.

توفر التكنولوجيا العديد من الميزات لنشر التعليم الإسلامي في إفريقيا، ومن هذه الميزات:[1]

• توفير التعليم الإسلامي للجميع، حيث تمكن الأشخاص في المناطق النائية من الوصول إلى الدروس الإسلامية عبر الإنترنت، مما يساعد في تعويض نقص المدارس والمعاهد الدينية في بعض الدول الإفريقية.

1- الجبر، حامد سعيد، وآخرون، أهمية التكنولوجيا الرقمية في مجال التعليم، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد 11، سنة :2020م.

• تقليل تكلفة التعليم، حيث تُعدُّ الدورات الإلكترونية والكتب الرقمية بديلاً اقتصاديّاً عن المدارس التقليدية، حيث تتيح للطلاب التعلم دون الحاجة إلى السفر أو دفع رسوم مرتفعة.

• تعزيز التفاعل بين المعلمين والطلاب من خلال توفير الأدوات الرقمية المشوقة، مثل الفصول الافتراضية وتطبيقات التواصل، وهي قنوات تفاعلية تمكن الطلاب من طرح الأسئلة والنقاش مع العلماء والدعاة بسهولة.

الوسائل التكنولوجية المستخدمة في نشر التعليم الإسلامي.[1]

هناك العديد من الوسائل التكنولوجيا المتاحة لنشر التعليم الإسلامي عبرها، منها:

1. المنصات التعليمية الإلكترونية

تُعدُّ المواقع الإلكترونية والتطبيقات التعليمية الإسلامية من أكثر الوسائل فاعلية في نشر التعليم الإسلامي، حيث توفر دورات ودروسا تفاعلية حول القرآن الكريم، والتفسير، والفقه، والعقيدة.

2. تطبيقات الهواتف الذكية

أصبحت التطبيقات وسيلة مريحة وسهلة للوصول إلى المحتوى الإسلامي، حيث يمكن استخدامها في أي وقت ومكان.

3. قنوات يوتيوب والبث المباشر

تتيح منصات الفيديو مثل يوتيوب وفيسبوك لايف نشر المحاضرات والدروس الإسلامية، مما يسهل وصولها إلى شريحة واسعة من المسلمين في إفريقيا.

1- لحبيب، بشير - توظيف الهواتف والأجهزة الذكية في خدمة القرآن الكريم بين الضرورة والخطورة -دراسة سوسيولوجية- مجلة العلوم الإسلامية والحضارة ، مج 8، ع1، سنة 2023م ، ص: 287 - 316.

4. وسائل التواصل الاجتماعي

تلعب وسائل التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك، تويتر، وتيليغرام دورًا كبيرًا في نشر المحتوى الإسلامي، حيث يستخدمها الدعاة لنشر المحاضرات والمقالات والفتاوى.

رابعاً: تدريب المرشدين والدعاة لنشر التعليم الإسلامي في إفريقيا.

يُعدّ تدريب المرشدين والدعاة في إفريقيا أحد العوامل الأساسية لتعزيز نشر التعليم الإسلامي، حيث يساهم في إعداد دعاة مؤهلين قادرين على توصيل رسالة الإسلام بطريقة صحيحة ومؤثرة. فمع تنوع اللغات والثقافات في القارة، يصبح من الضروري تزويد الدعاة بالمهارات اللازمة لمخاطبة المجتمعات المحلية بطرق تناسب بيئاتهم الثقافية والتعليمية.

أهمية تدريب الأئمة المرشدين والدعاة في السياق الإفريقي.

وتنبع أهمية تدريب المرشدين كسبيل لنشر التعليم الإسلامي مما يأتي:[1]

• ضمان الفهم الصحيح للإسلام، حيث يحتاج الدعاة إلى تكوين علمي متين في العقيدة، والفقه وأصوله، والتفسير، والحديث، لضمان تقديم رسالة الإسلام بشكل دقيق ومتزن، بعيدًا عن الغلو والتطرف.

• تكييف الخطاب الديني مع الواقع الإفريقي، لأن نشر الإسلام في إفريقيا يتطلب فهمًا عميقًا للعادات والتقاليد المحلية، مما يساعد في تقديم دعوة تتناسب مع ثقافة المجتمع وتحدياته.

• تعزيز التأثير والتواصل الفعّال، حيث تُساعد برامج التدريب على تطوير مهارات التواصل الفعّال، وتمكين الدعاة من التأثير في المستمعين باستخدام أساليب

1- الشريف، محمد موسى – التدريب وأهميته في العمل الإسلامي - دار الأندلس الخضراء، 2009م.

إقناعية ولغة تناسب الجمهور المستهدف.

• مواجهة التحديات الفكرية والعقدية، حيث تعمل برامج التدريب على إعداد الدعاة لمواجهة الشبهات الفكرية والتحديات التي تفرضها بعض الأيديولوجيات الأخرى، مما يعزز مناعة المجتمعات الإسلامية ضد التأثيرات السلبية.

محاور تدريب المرشدين والدعاة

ولكي يكون التدريب فعالاً يحقق أهدافه السامية، ينبغي أن يشمل المحاور التالية:

1. التأهيل الشرعي والعلمي: ويشتمل على:

• دراسة القرآن الكريم وعلومه.

• أصول الفقه وأحكام الشريعة.

• العقيدة الإسلامية وأصول الدعوة.

• تاريخ الإسلام في إفريقيا ودور العلماء الأفارقة.

2. المهارات الدعوية والتواصلية: وتشتمل على:

• فن الإلقاء والخطابة.

• مهارات التأثير والإقناع.

• استراتيجيات الحوار والنقاش الفعّال.

• استخدام الوسائل الإعلامية الحديثة في الدعوة.

3. التعليم والتدريب التربوي: ويشتمل على:

• أساليب التربية الإسلامية.

• إعداد مناهج تعليمية تناسب الفئات العمرية المختلفة.

• طرق تدريس العلوم الإسلامية للأطفال والشباب.

4. المهارات التقنية والتكنولوجية: وتشتمل على:

• استخدام الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي في الدعوة.

• إنشاء محتوى رقمي دعوي مؤثر.

• تطوير منصات تعليمية إلكترونية لخدمة المسلمين في المناطق النائية.

5. التأهيل اللغوي والثقافي: ويركز على:

• تعلم اللغات المحلية لتسهيل التواصل مع السكان الأصليين.

• فهم العادات والتقاليد الإفريقية وأثرها في الخطاب الدعوي.

• دراسة الأديان والعقائد الأخرى المنتشرة في إفريقيا لفهم طبيعة المجتمع.

وسائل تدريب المرشدين والدعاة في إفريقيا

هناك وسائل كثيرة يمكن اتباعها لتكوين الدعاة والمرشدين في إفريقيا، ونخص بالذكر منها هنا ما يأتي:

1. إنشاء معاهد ومراكز تدريب دعوية

تُعدُّ المعاهد الشرعية والمراكز الدعوية من أهم الوسائل لتدريب الدعاة وتأهيلهم، حيث توفر بيئة علمية متكاملة للدراسة والتدريب العملي. وهنا يجب أن ننوه بجهود عدد من المعاهد الدعوية التي تضطلع بمهمة تدريب الدعاة الأفارقة منها: معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات، الذي يعمل على تكوين الأئمة المرشدين والمرشدات من مختلف دول العالم، وفي مقدمتها الدول الإفريقية.

2. إطلاق برامج تعليمية عبر الإنترنت

توفر الدورات الإلكترونية إمكانية التعلم عن بُعد، مما يسهم في تدريب عدد أكبر من الدعاة دون الحاجة إلى التنقل أو التكاليف العالية.

3. تنظيم ورش عمل ومؤتمرات دعوية

تساعد الأوراش والندوات في تبادل الخبرات بين الدعاة، ومناقشة التحديات التي تواجههم في نشر الدعوة الإسلامية في إفريقيا.

4. دعم الدعاة بالمناهج والمواد العلمية

يجب تزويد الدعاة بالمصادر والمراجع التي تساعدهم في أداء مهمتهم الدعوية، مثل الكتب الشرعية، والمناهج التعليمية، والمواد التوضيحية المترجمة.

5. إرسال بعثات دعوية إلى المناطق النائية

يمكن إرسال مرشدين متدربين إلى القرى والمناطق التي تفتقر إلى المعرفة الإسلامية، مع تقديم الدعم اللازم لهم لتبليغ القيم السمحة للدين الإسلامي.

المحور الرابع: تحديات وحلول

أولاً: التحديات

يُعدُّ التعليم والتثقيف من أهم الأدوات لنشر الدين الإسلامي وتعزيز الوعي الديني في إفريقيا، إلا أن هناك العديد من التحديات التي تعيق هذه الجهود. ويمكن تصنيف هذه التحديات إلى فئات متعددة تشمل العوامل الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية، بالإضافة إلى تحديات مرتبطة بالبنية التحتية ونوعية التعليم.

1. التحديات الاقتصادية:

وتتمثل أبرز التحديات الاقتصادية لمشروع التعليم والتثقيف كأداة لتبليغ الدين بإفريقيا في ما يأتي:[1]

- **نقص التمويل والدعم المالي.**

حيث تعاني العديد من الدول الإفريقية من نقص الموارد المالية، مما ينعكس سلبًا على قطاع التعليم الإسلامي. فقلة التمويل تعيق بناء المدارس والمعاهد الدينية، وتوفير الكتب والمناهج التعليمية المناسبة، كما تؤدي إلى ضعف رواتب المعلمين والدعاة مما يؤثر على مستوى كفاءة التدريس.

- **الفقر وتأثيره على التعليم.**

ارتفاع معدلات الفقر في بعض البلدان يجعل كثيرًا من الأسر غير قادرة على تحمل تكاليف تعليم أبنائها في المدارس الإسلامية. ويضطر العديد من الأطفال تحت ظروف الفقر للعمل بدلاً من الدراسة للمساهمة في إعالة أسرهم.

2. التحديات الاجتماعية والثقافية.

وتتلخص أبرز هذه التحديات في الآتي:[2]

- **الأمية وضعف مستوى التعليم العام**

لا يزال معدّل الأمية مرتفعًا في العديد من المناطق الإفريقية، مما يُصعِّب وصول التعليم الإسلامي إلى شريحة كبيرة من السكان، ويؤدي ضعف التعليم العام إلى نقص الوعي بأهمية التعليم الإسلامي، مما يُعيق انتشار الثقافة الإسلامية

1- الدويش، محمد عبد الله - التعليم الإسلامي العربي في إفريقيا: مشكلاته وآفاقه - قراءات إفريقية - 4 أبريل 2016م.

2- الحوشي، جمال فضل – التعليم الإسلامي في قارة إفريقيا وأبرز التحديات التي يواجهها - تكوين عالم من الثقافة، 2023م.

الصحيحة.

- **تعدد اللغات وتأثيره على التعليم الإسلامي**

تتميز القارة الإفريقية بتنوع لغوي كبير، حيث تضم مئات اللغات واللهجات المحلية، مما يشكل تحدياً أمام نشر التعليم الإسلامي بلغة واحدة محددة. ويُعد ضعف إتقان اللغة العربية بين السكان المحليين عاملاً إضافياً يعيق فهم النصوص الدينية بشكل دقيق. لذلك، تبرز الحاجة الملحة إلى ترجمة الكتب الإسلامية إلى اللغات المحلية، وتكييف المناهج التعليمية لتتناسب مع هذا التنوع اللغوي، مما يسهل وصول التعاليم الإسلامية إلى جميع الفئات بشكل واضح ومفهوم.

- **العادات والتقاليد المحلية.**

بعض العادات الإفريقية قد تتعارض مع المبادئ الإسلامية، مما يجعل من الصعب نشر التعليم الإسلامي دون مراعاة السياق الثقافي. ومن ذلك استمرار بعض الممارسات التقليدية مثل الديانات المحلية، والمعتقدات التي قد تشكل عائقًا أمام انتشار التعليم الديني.

3. التحديات المرتبطة بالبنية التحتية والموارد التعليمية وبرامج التدريب

تُعَد قلة المؤسسات التعليمية الإسلامية ونقص المواد التعليمية والمناهج المناسبة من أبرز التحديات التي تواجه التعليم الإسلامي في إفريقيا. فالمدارس والمعاهد الدينية لا تزال محدودة العدد في العديد من الدول الإفريقية، مما يصعب معه تلبية الطلب المتزايد على التعليم الإسلامي. بالإضافة إلى ذلك، تعاني هذه المؤسسات من ضعف البنية التحتية، مثل نقص الفصول الدراسية والمكتبات والمرافق التعليمية الأساسية، فضلاً عن النقص الحاد في الكتب الدينية والمراجع العلمية المترجمة إلى اللغات المحلية.

وفي هذا السياق، تبرز الحاجة الماسة إلى تطوير مناهج تعليمية متكاملة تجمع بين

العلوم الشرعية والعلوم المعاصرة، لتلبية احتياجات العصر. كما أن ضعف برامج تدريب المعلمين يؤثر سلباً على جودة التعليم الديني، مما يتطلب تعزيز الجهود في هذا المجال لضمان تقديم تعليم إسلامي عالي الجودة.

4. تحديات أخرى.

يواجه مشروع التعليم كأداة لتبليغ الدين في إفريقيا تحديات سياسية وإدارية، أبرزها ضعف الدعم الحكومي للتعليم عامةً وللتعليم الإسلامي خاصةً، حيث تفتقر العديد من المؤسسات الإسلامية إلى الدعم المالي واللوجستي اللازم. كما تُعيق النزاعات المسلحة والصراعات تطوير التعليم، حيث تدمر البنية التحتية وتؤدي إلى انعدام الاستقرار ونزوح السكان، مما يحرم الطلاب من فرص التعليم المنتظم. هذه التحديات تتطلب تعزيز التعاون الدولي ودعم المنظمات المحلية والدولية لمواجهتها.

ثانياً: الحلول المقترحة لتجاوز التحديات.

من خلال استعراض التحديات والصعوبات التي تواجه برنامج التعليم كأداة لتبليغ الدين في إفريقيا، نرى أن هناك مجموعة من الحلول التي يمكن أن تسهم في تذليل هذه العقبات أمام القائمين على العمل الإسلامي في القارة. وهذه الحلول تشمل:

1. تعزيز التمويل والاستثمار في التعليم الإسلامي:

وفي هذا الصدد يمكن إقامة شراكات مع المنظمات الإسلامية والدولية، مثل رابطة العالم الإسلامي، ومنظمة التعاون الإسلامي، لتلعب دورًا رئيسيًا في تمويل ودعم المشاريع التعليمية في إفريقيا.

كما ينبغي تشجيع التبرعات والوقف الإسلامي، لنتمكن من إنشاء صناديق وقفية، مخصصة لدعم المدارس والمعاهد الدينية، مما يوفر مصدر تمويل مستدام يعتمد على التبرعات والأوقاف الإسلامية.

2. تحسين جودة التعليم الشرعي:

وهنا يجب تطوير مناهج تعليمية حديثة متوازنة، بحيث تشمل العلوم الشرعية إلى جانب العلوم العصرية، مثل العلوم الطبيعية والاجتماعية. هذا سيساعد في إعداد جيل من المسلمين القادرين على مواجهة تحديات العصر.

وينبغي كذلك تأهيل المعلمين والمرشدين من خلال تنظيم دورات تدريبية مستمرة، لتحسين مهاراتهم.

3. دعم الترجمة والتأليف بلغات محلية:

وهنا نُذكر بأهمية ترجمة القرآن الكريم والكتب الدينية إلى اللغات المحلية، التي لم يترجم بها القرآن إلى الآن، مع إعداد مواد تعليمية مبسطة تشرح مبادئ الإسلام بلغة سهلة ومفهومة، مما يساعد في نشر الإسلام بين غير الناطقين بالعربية.

4. الاستفادة من التكنولوجيا في التعليم الإسلامي:

وعلى هذا الصعيد نوصي بإنشاء مزيد من المنصات التعليمية الإلكترونية، التي تقدم دروسا علمية لطلاب العلم، وتطوير التطبيقات الهاتفية التي يمكنها أن تساعد في تعليم القرآن والسنة، وتوفر مواد تعليمية متنوعة للمستخدمين. بالإضافة لاستثمار وسائل التواصل الاجتماعي، لنشر المحتوى الإسلامي وزيادة الوعي الديني بين الشباب.

5. إقامة مراكز تدريب للمرشدين والمرشدات في إفريقيا:

وهنا تبرز أهمية تأسيس معاهد شرعية، تقوم بتأهيل المرشدين المحليين، مما يجعلهم أكثر قدرة على نشر الإسلام بأساليب علمية وحضارية. ويمكن كذلك تنظيم دورات متخصصة، تركز على كيفية التعامل مع التنوع الثقافي واللغوي في إفريقيا، مما يعزز فهم المرشدين والمرشدات للبيئة التي يعملون فيها.

6. تعزيز التعاون بين المؤسسات الإسلامية والحكومات:

يؤدي العمل على تحسين العلاقات بين المؤسسات الإسلامية والحكومات المحلية، لتعزيز دور التعليم الإسلامي في المجتمع، ويدفع الحكومات للاعتراف بالشهادات الصادرة عن المعاهد والمدارس الإسلامية، مما يعزز مكانة هذه المؤسسات ويزيد من فرص خريجيها في سوق العمل.

خاتمة البحث

يمثل التعليم والتثقيف وسيلة فعالة لتبليغ الدين الإسلامي في إفريقيا، حيث يمكن من خلاله نقل القيم الدينية وترسيخها في النفوس بطريقة تجمع بين الأصالة والمعاصرة. إن تحقيق هذا الهدف يتطلب تضافر الجهود بين الحكومات والمؤسسات الدينية والمجتمعات المحلية.

ومع وجود تحديات كبيرة، فإن الحلول المبتكرة، مثل استخدام التكنولوجيا، والتركيز على تدريب الكفاءات المحلية، يمكن أن تُحدث تغييرًا حقيقيّاً. إن بناء أجيال متعلمة ومتدينة في إفريقيا ليس مجرد استثمار في الحاضر، بل هو أمل للمستقبل، فلنعمل معًا لتحقيق هذه الرؤية النبيلة.